شديدا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع
ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول
الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان
المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فان لم يكن الخنزير
مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع
الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه
فالخنزير يدعوا بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعوا بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان
لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه
والحكيم الذي هو مثال القلب مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته
النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ الغضب يكسر
سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه فاستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير
ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم
الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة
ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة من حاله كما يمثل للمكاشفين
اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا
لاشارته وامره مهما هاج الخنزير بطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار
شهوته او رآها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر
في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير
الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد
حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان
انصف نفسه الا ساعيا في طول النهار في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك
مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر
والاستيلاء وقد سخره لخدمة هولاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء الثلث صفات تتراكم
عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر

منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث
والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه
الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره واما طاعة الشيطان في طاعة
الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبيس
والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية
لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على
ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله
ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده
الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه
من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الكرم والنجدة وضبط النفس
والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في
حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب
اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلالا فيه
جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا
القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله
صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة فانها
مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم
ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون وقال تعالى ولو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا
يسمعون فربط تعالى عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط حصول السماع بالتقوى
فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على
القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم
امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم تحركه الى التوبة والتدارك واوليك

Copyright © King Saud University